

من مزالق الترجمة بين العربية والفارسية

للدكتور يوسف حسين بكار
(جامعة اليرموك/الأردن)

- ١ -

الترجمة بين العربية والفارسية قديمة جداً، إذ كانت البهلوية (الفارسية الوسطى)، ثم الفارسية الإسلامية (الدرية الحديثة) من أكبر منابع الترجمة ومصادرها إلى العربية. وقد أثبت ابن النديم - فيما أثبت من فهارس - "فهرساً" بأسماء المترجمين من الفارسية إلى العربية، من مثل، ابن المقفع، والحسن بن سهل، وآل نويخت^(١). ونشط الدكتور محمد محمدي، في الستينات، أيام كان مستشاراً ثقافياً لإيران ببيروت ورئيساً لقسم اللغة الفارسية وآدابها بجامعة اللبنانية، في جمع "ما نُقِلَ من الآثار الأدبية الفارسية إلى اللغة العربية في القرون الإسلامية الأولى، وخاصة في أوائل العصر العباسي، مما امتزج بالأدب العربي حتى أصبح جزءاً منه"^(٢)، وأصدر الجزء الأول من "الترجمة والنقل عن الفارسية - في القرون الإسلامية الأولى" الذي أفردته لكتب "التاج" و"الآيين"^(٣) بعد أن جمع ما تناثر في المصادر العربية الإسلامية بثتى أنواعها.

وأخذت حركة النقل والترجمة تقوى في الأعصر الإسلامية التالية، ولم تعد محصورة في ترجمة الآثار الفارسية وحدها إلى العربية، إنما امتدت جهود

(١) الفهرست، ص ٣٠٥. تحقيق محمد رضا تجدد، طهران ١٩٧١.

(٢) محمد محمدي: الترجمة والنقل عن الفارسية ١: ٢، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٤.

(٣) هكذا تناقلتها المصادر العربية، وقد كانت تعرف باسم "آيين نامه" في الأدب الفارسي الساساني. و"آيين" لفظة فارسية بهلوية معناها: القاعدة، أو الطريقة، أو القانون؛ قال المسعودي في "التنبيه والإشراف": "تفسير آيين نامه: كتاب الرسوم". واستعملها العرب في كتاباتهم بشكلها الفارسي.

(محمد محمدي: المرجع السابق، ص ٣٣٠ وما بعدها).

المترجمين إلى ترجمة بعض الآثار العربية إلى الفارسية، من مثل: "تفسير الطبري" و"تقويم الصحة"، و"الشاهنامه" و"تاريخ بخارى".

وأما في الأعصر الحديثة، فانتسعت حركة الترجمة بين اللغتين اتساعاً كبيراً؛ إذ ترجم العرب عدداً من أمهات كتب تراث فارس، من مثل: "بوستان" لسعدي الشيرازي و"كلستانة"، و"ديوان حافظ الشيرازي" و"رباعياته"، و"مثنوي" مولانا جلال الدين الرومي، و"شاهنامه" الفردوسي، و"جامع الحكمين" و"سفرنامه" لناصر خسرو، و"رباعيات الخيام" (لها أكثر من عشرين ترجمة عربية بالفصحى والعامية)، و"قابوس نامه" (كتاب النصيحة)، و"سياست نامه" (كتاب السياسة)، و"عطار نامه"، و"سندباد نامه"، و"بختيار نامه"، و"تاريخ البيهقي"، و"جامع التواريخ".

وترجمو عدداً لا يستهان به من مؤلفات الإيرانيين المعاصرين وآثارهم. وممن تُرجم لهم مثلاً: الدكتور زادة شفق، علي دشتي، صادق هويت، حسين قدس نخعي، رشيد ياسمي، أبو القاسم حالت، ايرج ميرزا، بروين اعتصامي، والدكتور غلامحسين يوسفى^(٤).

(٤) لمعرفة مزيد من ترجمات العرب المختلفة عن الفارسية، راجع:

- ١- يوسف بكار: جهود عربية معاصرة في خدمة الأدب الفارسي، مجموعة سخنرانيهاي دومين كنكره تحقيقات ايراني، جلد دوم، مشهد ١٣٥٢ شمسي (١٩٧٣م)، ص ٤٢٧-٤٦٨، وترجمته الفارسية: ادبيات فارسي در كشورهاي عربي، للدكتور جعفر شعار. سخن، دوره ٢٣، شمارهاي ٦ و ٧ و ٨، سال ١٣٥٣ شمسي.
- ٢- يوسف بكار: الفارسية وأدابها في البلاد العربية، نشره دانشكده الهيأت ومعارف اسلامي دانشكاه مشهد، شماره ١٢، پائيز ١٣٥٣ شمسي (١٩٧٤م)، وترجمته الفارسية: زبان وادبيات فارسي در كشورهاي عربي، للأنسة مليحة شريفي. سخن، دوره ٢٦، شمارهاي ٩ و ١٠، سال ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨م).
- ٣- الدكتور طلعت أبو فرحة: أضواء على الدراسات الفارسية في مصر، في كتاب: جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران (ص ١٩٩-٢٢٦)، القاهرة ١٩٧٥.
- ٤- نصرالله مبشر الطرازي: الكتاب الإيراني في مصر، في الكتاب السابق أعلاه (ص ١٤٥-١٨٤).

أما الإيرانيون فترجموا عدداً من مصادر تراثنا العربي، وعدداً آخر من آثارنا المعاصرة؛ وهو - على أية حال - أكثر مما ترجمنا لهم من أعمال معاصرة. ومن كتب تراثنا التي تُرجمت إلى الفارسية في العصر الحاضر: تاريخ الطبري، مروج الذهب، تاريخ اليعقوبي، الأخبار الطوال، سني ملوك الأرض والأنبياء، تقويم البلدان، مقدمة ابن خلدون، رحلة ابن بطوطة، ورحلة ابن فضلان.

ومن المعاصرين العرب الذين تُرجم لهم شيء أو أشياء من آثارهم وأعمالهم إلى الفارسية^(٥): قاسم أمين، عبدالوهاب عزام، جرجي زيدان، طه حسين، أحمد أمين، زكي محمد حسن، بنت الشاطي، محمد أبو زهرة، محمد عبدالغني حسن، جورج جرداق، سيد قطب، محمد مندور، نزار قباني، عبدالوهاب البياتي، محمد الفيتوري، غسان كنفاني، فدوى طوقان، محمود درويش، سميح القاسم، وتوفيق زياد.

- ٢ -

ليس عبثاً أن يُعنى العلماء والباحثون، من هوراس* إلى زماننا هذا، بالترجمة، وأن ينشطوا في التقنين لها، وتقعيد قواعدها، وتبيين أهميتها ودواعيها، ووضع الشروط لمن يتصدون لها على أنها "فن" كغيرها من الفنون. غير أنه بات معروفاً أيضاً أن الترجمة لم تعد تتحصر، فقط، في دائرة "الفن" الدقيق الذي لا يستطيعه إلا أولو المقدره والبراعة عن طريق الممارسة، إنما جاوزتها، كسائر العلوم اللغوية، إلى دائرة "العلوم الوصفية" لوضوح الجانب "الوصفي" فيها. ومن هنا انبثقت الدعوة وجاء التخطيط إلى "علم للترجمة"، من غير إنكار لما فيها من عناصر فنية، على

(٥) راجع أيضاً: مرتضى آيت الله الشيرازي، جولة حول الروابط المعنوية بين إيران ومصر والكتاب المصري في إيران، في كتاب: جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران (ص ١٨٥ - ١٩٧).

(*) Horace.

يد يوجين. أ. نيدا Eugene A. Nida في كتابه "نحو علم للترجمة"* . وبهذا أضحت الترجمة، كالنقد تماماً، تجمع بين "الفنية" و"العلمية".

إن حركة الترجمة الحديثة النشطة من العربية إلى الفارسية وبالعكس ليست بدءاً بين مثيلاتها من اللغات الأخرى وإليها؛ فهي تخضع لكل مقومات الترجمة وشروطها، كما أن زُمَر المترجمين المنتمين لها عرضة لما يتعرض له غيرهم من المترجمين من صعوبات ومشاق ومزالق. وقد تكون مزالق الترجمة ومشكلاتها بين العربية والفارسية أكثر من غيرها، لما بين اللغتين من تداخل وتشابك وتشابه وقرص، وإن لم تجمعهما أسرة لغوية واحدة، فيما هو معروف.

ولقد فُيِّض لي، من خلال إقامتي في مدينة مشهد الإيرانية (١٩٧٠-١٩٧٨) لتدريس العربية وآدابها في جامعتها، أن أتعلم الفارسية، ثم أزالول تدريس الترجمة، وأجرب حظي فيها عملياً من الفارسية إلى العربية، بترجمة "سياسات نامة"، لنظام الملك الطوسي، وبعض الأبحاث والمقالات الأخرى* ومن العربية إلى الفارسية (مع صديقي الأستاذ الدكتور غلامحسين يوسف) بترجمة "قصتي مع الشعر"*** لنزار قباني، و"مختارات من الشعر العربي الحديث"*** كما قيض لي أن أطلع على كثير من ترجمات الإيرانيين عن العربية، وترجمات العرب عن الفارسية. كل هذا، يسّر لي أن أكتشف، من كتب، بعض المشكلات والمزالق التي قد تعترض المترجمين من العرب والإيرانيين، والتي لم يسلم كثيرون منهم من تيارها.

(*) Towards A Science of Translating.

وقد ترجمه ماجد النجار إلى العربية، ونشرته وزارة الإعلام العراقية. بغداد ١٩٧٦.

* - من مثل: "العالم المنشود في بستان سعدي الشيرازي" و"سمات الأدب الفارسي المعاصر" للدكتور غلامحسين يوسف، و"الخيام الشاعر" لعلي دشتي.

** - منشورات طوس، طهران ١٩٧٧.

*** - الكتاب معد للطبع.

لعل من أهم ما يركّز عليه في الترجمة عامة المعرفة التامة أو الجيدة، على الأقل، باللغة المنقول منها والمنقول إليها سواء بسواء. فقديماً أوجب "جاحظنا" على المترجم أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية^(٦). ويزيد وديع فلسطين الأمر وضوحاً بقوله: "ولا بد لفهم المتن المراد نقله من إجادة اللغة التي كتب بها، ومعرفة دقائقها وقواعدها وآدابها وشواذها وشواردها. ولا بد قبل النقل من إجادة اللغة التي يُنقل إليها النص"^(٧).

وقد أكد "أتين دوليه Etienne Dolet" (١٥٠٩ - ١٥٤٦)، الذي يُعدّ واضع أول نظرية للترجمة، هذا الشرط اللازم في بحث له عن مبادئ الترجمة، وجعله واحداً من مبادئ خمسة أساسية للترجمة، فقال: "لا بد أن يكون المترجم على معرفة رفيعة تامة باللغة التي يترجم منها، وأن يمتلك بنفس الشكل معرفة رفيعة باللغة التي يترجم إليها"^(٨).

هذا الشرط من أبرز المزالق التي تواجه المترجمين من عرب وفرس معاً، فضلاً عن عدم تمكّن أغلبهم من اللغة التي ينقل منها خاصة؛ فإن جمهرة من الألفاظ العربية التي دخلت الفارسية واستوطنتها واتخذت فيها معاني مغايرة لمعانيها الأولى، أو اشتهرت بمعانيها الرائجة المشهورة، قد أضحت لبعض المترجمين الإيرانيين حقائق مسلّمة، صرّفنهم حتى عن استشارة "معجمات" اللغة، مع أنها من واجبات المترجم في أحسن الأحوال. يقول يوجين نيدا: "يتمثل أول

(٦) الحيوان ١: ٣٨، المطبعة الحميدية، القاهرة ١٣٢٣هـ.

(٧) فن الترجمة في الأدب العربي، ص ٢٧ نقلاً عن: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، يناير ١٩٦٢.

(٨) يوجين نيدا: نحو علم للترجمة، ص ٤٥، ثم انظر أيضاً: ٢٨٥-٤٦٥.

وأوضح مستلزم يحتاجه أي مترجم بامتلاكه لمعرفة كافية بلغة المصدر؛ فلا يكفي أن يكون المترجم قادراً على فهم (المغزى العام) للمعنى، أو أن يكون ماهراً في استشارة القواميس (فمن المفروض أنه سيفعل ذلك حتى في أحسن الأحوال) ... إن ما هو أهم من ذلك معرفة المترجم بموارد لغة المصدر، وسيطرته الكاملة على لغة المتلقي ...، التضلع الشامل بلغة المتلقي ليس له بديل. إن أغلب الأخطاء المتعددة والخطيرة التي يقع فيها المترجمون، تنشأ في المقام الأول من افتقارهم إلى المعرفة الشاملة بلغة المتلقي^(٩).

وكذا الأمر بالنسبة للمترجم العربي الذي يجابه بسيل من ألفاظ العربية التي اتخذت في الفارسية معان غير معانيها في لغتها الأم. وليس مبالغة أن يقال إن النصب والمعاناة المتأتين عنها أكثر ما يتأتى من جانب مفردات الفارسية نفسها. إن ما أشار إليه هؤلاء الثلاثة يصدق على ما نجده عند بعض المترجمين الفرس والعرب من أخطاء وأوهام. وهذه بعض النماذج:

١- كان المرحوم محمد رضا تجدد آخر من حقق "الفهرست" لابن النديم (طهران ١٩٧١)، وهو الذي ترجمه إلى الفارسية أيضاً؛ وطُبعت الترجمة مرتين إلى الآن، وهي لا تخلو من هنات مثلما لا يخلو الأصل العربي من أخطاء كثيرة^(١٠)، فلقد اعتاد ابن النديم أن يصف الكتاب الذي كان يراه بنفسه بأنه "كبير" أو "لطيف" أي "صغير" وفقاً لحجمه. يقول في الكلام على ابن سعدان: "... وله من الكتب: كتاب الخيل؛ رأيته. لطيف" (ص ٨٧)، ويقول في أخبار محمد بن داود الجراح: "وله من الكتب ... كتاب (الشعر والشعراء). لطيف" (ص ١٤٢)، ويقول في أخبار جعفر بن حمدان

(٩) نحو علم للترجمة، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(١٠) راجع في نقد الكتاب: يوسف بكار، نظرات في فهرست ابن النديم، مجلة كلية الآليات والمعارف

الاسلامية - جامعة مشهد، العدد الخامس، شتاء ١٣٥١ شمسي (١٩٧٣م).

الموصللي: "فأما كتبه الأدبية، فهي: ... كتاب محاسن أشعار المحدثين، لطيف" (ص ١٦٦)، ويقول في الحديث عن يحيى بن أبي منصور الموصللي: "وله من الكتب: ... كتاب الطبيخ. لطيف" (ص ١٦٦).

لكن، ما الذي فعله المرحوم تجدد حين ترجم الكتاب إلى الفارسية؟! لقد ترجم لفظة "لطيف" في كل الموارد السابقة بمعناها المعروف في الفارسية: "خوب" أو "نازك"*، والأكثر شيوعاً في العربية: جميل، أنيق، جيد. فكانت ترجمة المثال الأول: "ازكتابهي اوست: كتاب الخيل كه بسيار خوب است"^(١١)، وترجمة الثاني "وأين كتابها از اوست: ... كتاب (الشعر والشعراء). نازك است"^(١٢)، وترجمة الثالث "وكتابهي أدبي أو بدينقرار است: ... كتاب محاسن أشعار المحدثين. نازكست"^(١٣)، وترجمة الأخير "وأين كتابها از اوست: ... كتاب الطبيخ. نازك است"^(١٤).

فلو استشار المحقق - المترجم المعجمات العربية واستجد بها، على الأقل - لوجد أن لفظة "صغير" من معاني كلمة "لطيف"^(١٥)، وهو ما كان يعنيه ابن النديم مقابل لفظة "كبير"، كقوله في الكلام على ابن عبد الحميد الكاتب: "وله من الكتب: كتاب أخبار خلفاء بني العباس. كبير" (ص ١٢٠)، وترجم اللفظة في مواطنها السابقة وغيرها بلفظة "كوجاك" الفارسية، ليس غير.

(*) توجد هذه اللفظة في عدد من اللهجات العربية المحلية بالمعنى نفسه. ومن الطريف أن المحقق

فسرها بالعربية بقوله: "ونزك كلمة فارسية بمعنى الناعم" (ص ٢٨٤، الحاشية).

(١١) الفهرست، ص ١٣٣ (الترجمة الفارسية)، الطبعة الثانية، طهران ١٣٤٦ شمسي.

(١٢) المصدر السابق ٢١١.

(١٣) المصدر السابق ٢٤٦.

(١٤) المصدر نفسه ٢٤٧.

(١٥) انظر مثلاً: ابن منظور، لسان العرب. مادة (لطف)، والدكتور حسين نصار: المعجم العربي

١: ٤١ دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٨.

ولربما أن لفظة "ملطفة" التي تلقاها بكثرة في المصادر الفارسية التاريخية، من مثل "سياست نامه" و"تاريخ البيهقي"، ومعناها الرسالة الصغيرة التي تكتب في الحالات الفورية، أُخِذت من الأصل العربي "لطف" نفسه، لأن المعجمات العربية لا تذكرها.

٢- في ترجمة الأستاذ الدكتور جعفر شعار لبحثي "جهود عربية معاصرة في خدمة الأدب الفارسي"، ترجم لفظة "نفر" في هذه العبارة: "قام (نفر) من أساتذة معهد اللغات الشرقية بجامعة القاهرة بترجمة كتاب (تراث فارس)، الذي كتب فصوله أساتذة من المستشرقين" بشخص واحد، وهو معناها في الفارسية وفي بعض لهجاتنا المحلية. قال: "يكي از استادان (معهد اللغات الشرقية) در دانشگاه قاهره به ترجمه كتاب (تراث فارس) پرداخته است"، بيد أن المعنى اللغوي الصحيح للفظه هو: جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة^(١٦). فالترجمة الصحيحة إذن "جندتن از استادان...".

والحق أن مترجمي القرآن الكريم إلى الفارسية ترجموا اللفظة عينها في قوله تعالى: "قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن، فقالوا: إنا سمعنا قرآناً عجيباً"^(١٧) ترجمة صحيحة. وهذه ترجمة الآية الكريمة: "بگو: وحى آمد كه گروهى از پريان استماع (قرائت من) كردند وگفتند: ما قرآن شكفت آور شنيديم"^(١٨).

٣- يستعمل العرب، في العصر الحاضر، الاصطلاحات: "أغراض الشعر" و"موضوعات الشعر" و"فنون الشعر" بمعنى واحد، وهو ما لا يعرفه أكثر الإيرانيين، إن لم يكونوا كلهم. من هنا وهم الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني في

(١٦) لسان العرب، مادة (نفر).

(١٧) سورة الجن، آية (١).

(١٨) القرآن الكريم، ترجمة أبي القاسم باينده، الطبعة الثالثة، طهران ١٣٥٤ شمسي، وترجمة المكتبة

الاسلامية، طهران ١٣٣٦ شمسي (١٣٧٧هـ).

ترجمة لفظة "أغراض" بمعناها المعجمي "أهداف" في ترجمته مقدمة مختارات الدكتور محمد مصطفى بدوي "مختارات من الشعر العربي الحديث".

جاء في مقدمة الدكتور بدوي: "وما زالت موضوعات هؤلاء الشعراء هي الأغراض التقليدية من مديح للحكام، وتقريض للإخوان، وتأريخ للمناسبات..."^(١٩).

وترجم الدكتور كدكني العبارة كالتالي: "موضوعات شعري اين گروه نيز، همان هدفهاي كلاسيك بود، از قبيل مديح حاكمان، وتقريض براي دوستان، وتاريخ مناسبات"^(٢٠).

٤- لست أدري لماذا ترجم صديقنا الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا لفظة "لحاف" في قول صادق هدايت "لحاف را جلو چشم نگه ميدارم"^(٢١) بلفظة "غطاء": "ووضعت الغطاء على عيني"^(٢٢)، مع أن اللفظة من الألفاظ العربية التي دخلت الفارسية، وهي أخص من "الغطاء"؛ فاللحاف غطاء، ولكن ليس كل غطاء لحافاً.

٥- وردت في فصل "خيام شاعر" (الخيام الشاعر) من كتاب "دمي باخيام"، وهو الفصل الذي ترجمته إلى العربية، الجملة التالية: "كشيدن رباعيات أصيل خيام از اين (بازار مكاره) كارآساني نيست"^(٢٣). وقد ترجمتها بهذا النحو "ان استلال رباعيات الخيام الأصيلة من (سوق المكاره) هذه، ليس بالأمر الهين".

(١٩) مختارات من الشعر العربي الحديث - المقدمة، ص ج. دار النهار، بيروت ١٩٦٩.

(٢٠) ذكر كونيهاي شعر معاصر عرب، كتاب الفبا، جلد سوم، طهران ١٣٥٢ شمسي، ص ١٨-٣٨.

(٢١) زنده بگور، ص ١١، الطبعة السابعة، طهران ١٣٤٤.

(٢٢) قصص من الأدب الفارسي المعاصر، ص ٩٩. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٥.

(٢٣) دمي باخيام، ص ٧. امير كبير، طهران ١٣٤٤.

أقول، لقد أغرتني لفظة "مكاره" العربية في هذا الاصطلاح الفارسي المركب "بازار مكاره"، فترجمته كما أثبتُّه أعلاه، وهي ترجمة مفهومة ولا غبار عليها لدى القارئ العربي. غير أن معناه الدقيق، الذي اطلعت عليه فيما بعد في المعجمات الفارسية المعتبرة، يوحى، فيما يبدو لي، بترجمته بلفظة "معرض"؛ لأن معنى (بازار مكاره): "السوق التي تقام عدة أيام مرة في السنة، وتجلب إليها البضائع من أقطار مختلفة للعرض والبيع أيضاً"^(٢٤).

- ٤ -

ومما يندرج في موضوع اللغة ما يعرف بالتركيب اللغوية التي يُعدّ التغلب عليها في أي لغتين من أهم وظائف المترجم^(٢٥) الذي يُشترط فيه "أن يكون ملماً إماماً كاملاً بمعاني تراكيب الجمل. ففي هذا المجال الخاص، غالباً ما يُظهر المترجمون ضعفهم الكبير. ومع أنهم يمكن أن يفهموا بشكل جيد تماماً معاني الكلمات والعبارات منفردة، فغالباً ما يفتقرون بشكل شنيع إلى التقييم الأساسي للمعاني والأبنية اللغوية"^(٢٦).

هذا الأمر من أهم مشكلات الترجمة بين العربية والفارسية خاصة، لكثرة ما بينهما من فروق في الخصائص الأصيلة: من حيث التراكيب والمجازات، والتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية؛ وكلها تدخل في دقائق اللغة وقواعدها التي يتحتم على المترجم أن يتيقظ لها؛ ولكن ما أكثر ما ينزلق فيها المترجمون!

ومن أمثلة هذا المزلق ما وقع فيه الدكتور محمد شفيعي كدكني أيضاً في ترجمة النص التالي من مقدمة الدكتور مصطفى بدوي: "لم يكد ينصرم القرن

(٢٤) انظر مثلاً: محمد معين، فرمناك فارسي - بازار، ودهخدا: لغتنامه دهخدا - مادة (بازار) أيضاً.

(٢٥) يوجين نيدا: نحو علم للترجمة، ص ٣١٢.

(٢٦) المرجع السابق، ص ٤٦٦.

التاسع عشر إلا وقد ظهر ضرب جديد من الشعر، يتميز بشيء من التعارض والتوتر بين الشكل والمضمون^(٢٧)، إذ اختلط عليه معنى "لم يكد ينصرم"، فكانت ترجمته "هنوز قرن نوزدهم به بابان نرسیده بود که نوع تازه ای از شعر به ظهور بیوست .."^(٢٨). والصحيح "مدتي از قرن توزدهم نگذشت بود که نوعي جديد در شعر عربي پديد آمد ...".

- ٥ -

ومن أخطر المزالق التي قد يساق إليها المترجم غفلته عن "لغة عصر" ما يترجم. وبديهي أن ما يُتَوَخَّى من لغة وأسلوب واصطلاحات في ترجمة مثل: "تاريخ البيهقي" و"الشاهنامه" و"سفرنامه ناصر خسرو" و"سياست نامه" و"رحلة ابن بطوطة" غير ما يُتَوَخَّى في ترجمة "قصتي مع الشعر" و"الأيام" و"قلمرو أدب سعدى" (آفاق أدب سعدى) و"دمى باخيام" (وقفه مع الخيام) لعلي دشتي.

مراعاة روح العصر في لغته وأساليبه واصطلاحاته ومفرداته واجبة إذن؛ لذا أبقى الألفاظ والمصطلحات العربية التي أفاد منها صاحب "سياست نامه" كما هي لتناسب الفترة التي أُلِّفَ فيها الكتاب، ولم أحاول أن أستعوض عنها بألفاظ واصطلاحات عصرية، وإن هُجِرَ كثير من تلك الألفاظ وترك منذ زمن بعيد. ومن الأمثلة عليها: المحتسب، المستوفي، الشحنة، العسس، وخريطة*. وقد راعى مترجما "تاريخ البيهقي" هذا الصنيع، فقال أحدهما: "وقد تعمدنا أن نترك الألفاظ العربية التي وردت في الكتاب كما هي: لكي تعبّر عن مدلولاتها في العصر الذي

(٢٧) مختارات من الشعر العربي الحديث، ص و.

(٢٨) دگر گونیهایی شعر معاصر عرب، كتاب الفبا، ص ٢٧.

(*) الخريطة: كيس من قماش. وما زالت تستعمل في أنحاء من الأردن وفلسطين.

كُتبت فيه^(٢٩). بيد أنهما جانبا هذا الشرط في ترجمة اصطلاح "گشادنامه" (نامه سرگشاده) بالاصطلاح المعاصر "كتاب مفتوح"^(٣٠). وقد ترجمته بـ"رسالة مفتوحة" في "سياست نامه".

وأذكر أننا حين ترجمنا (الدكتور يوسفى وأنا) المقطع التالي من قصيدة (عيد ميلادها) لنزار قباني^(٣١):

بأي شيء أفدُّ

إذا يَهْلُ الأَحَدُ

بخاتم؟

بباقية؟

على النحو التالي أولاً:

با چه هديه اى بروم؟

وقتي روز يكشنبه فرارسد

با انگشترى؟

بادسته گلى؟

رأى الدكتور يوسفى أنه من الأفضل أن نترجم "بخاتم" إلى "با انگشتر" بدلاً من "با انگشترى" لأن الأول هو المستعمل في الوقت الحاضر. وهكذا كان.

(٢٩) يحيى الخشاب: مقدمة ترجمة تاريخ البيهقي، ص ٣٩. الأنجلو المصرية (دون تاريخ).

(٣٠) يحيى الخشاب وصادق نشأت: تاريخ البيهقي (الترجمة العربية)، ص ١٢٨.

(٣١) مختارات من الشعر العربي الحديث، ص ١٤٩.

لم يكن اعتباراً أن تقسم الترجمة، من حيث الطريقة والكيفية، إلى أنواع من أهمها الترجمة (اللفظية)، والترجمة بالمعنى (المعنوية). إن الترجمة الحرفية لا تتيسر في كل الأحيان، خاصة في ترجمة المصطلحات والأمثال والمجازات؛ وهنا تكمن الحيرة ويكون المزلق: الحيرة في ترجمة هذه الأشياء كما هي من اللغة الأجنبية، مهما يكن وقعها في الذوق العربي، أو وضع ما يقابلها في العربية مما يؤدي معناها الأصلي دون تقيّد بحرفية ما يترجم^(٣٢). ومن الشق الأول - أي الترجمة الحرفية - تتبع المزالق التي يدعو أكثرها إلى الضحك، وتقود في أحيان كثيرة إلى البتر والتشويه والحذف الذي لا مندوحة من تفسيره إلا بعجز المترجم وجهله.

أقول هذا، لأن للفارسية مجازات واصطلاحات غريبة علينا كل الغرابة، وربما لا نجد مثلها في اللغات الأخرى. ولقد سئلتُ مرة أن أترجم المثل الفارسي "كُلُ پِشت ورو ندارد"، فاحترت في أمري: أترجمه ترجمة حرفية لا ماء فيها ولا رونق، فأقول: "ليس للورد ظهر ولا بطن!!"، أم أبحث عن معادل له في عربيتنا؟ وكان من الطبيعي أن أبحث عن المعادل، غير أنني لم أجده في تراثنا الضخم من الأمثال الفصيحة. ومن يدري، ربما أنني أنا الذي لم أستطع الاهتداء إليه. حينئذ انعطفت إلى أمثالنا الشعبية، فاهتديت إلى المعادل الدقيق، وهو المثل: "كُلُّك وَجْه" الذي يستعمل في الحالات عينها التي يستعمل فيها المثل الفارسي. وينطبق هذا الكلام أيضاً على المثل الفارسي "كَبوتر باكَبوتر بازبا باز" إذا ما ترجمناه ترجمة حرفية سقيمة "الحمامة مع الحمامة، والبازي مع البازي"، وتركنا المثل الرائع "إن

(٣٢) انظر أيضاً: محمد عبدالغني حسن، فن الترجمة في الأدب العربي، ص ٢٠٦ و ٥٩. الدار

المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٦.

الطيور على أشكالها تقع" الذي لا يعدو المثل الفارسي قيد أنملة. هذا ما فعلناه (الدكتور يوسفى وأنا) بالمثل العربي نفسه الذي ضمَّنه عبدالوهاب البياتي المقطع الآتي من قصيدته "سوق القرية"^(٣٣):

وينادق سود، ومحراث، ونار

تخبو، وحداد يراود جفنه الدامي النعاس:

"أبدأ على أشكالها تقع الطيور

والبحر لا يقوى على غسل الخطايا والدموع

إذ ترجمناه بمعادله الفارسي السابق "كبوتر باكبوتر، باز با باز".

ومن المترجمين العرب الذين انساقوا في حمأة التيار الحرفي في ترجمة الأمثال المرحوم الدكتور إبراهيم الشواربي، الذي أثبت في أحد كتبه^(٣٤) طائفة من الأمثال الفارسية، وترجم أكثرها ترجمة حرفية، مع أن لها في العربية نظائر وأشباهاً تكاد تكون ترجمة لها. فقد ترجم المثل "صبر مفتاح كارها است" بـ"الصبر مفتاح الأمور" وعزف عن المثل العربي "الصبر مفتاح الفرج"؛ كما ترجم المثل "صدا از يكدست بر نياید" بقوله: "اليد لا تصفق وحدها" وترك مقابله الدقيق: "يد واحدة لا تصفق".

أما مترجم "رحلة ابن بطوطة" الفارسي، فقد راعى نوع الترجمة الذي ندعو إليه، حتى في الأمثال العربية غير المتداولة كثيراً، وسلك سبيل الترجمة المعنوية والبحث عن المعادل في ترجمة المثل "صدقهم سن بکره"^(٣٥) في نص ابن بطوطة:

(٣٣) مختارات من الشعر العربي الحديث، ص ١٩٦.

(٣٤) القواعد الأساسية لدراسة الفارسية، ص ٢٣١ - ٢٣٦، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٦٤.

(٣٥) راجع قصة هذا المثل مفصلة في: لسان العرب، مادة (صدق).

"ثم إن التوبة وصلت يوماً إلى الشيخ شهاب الدين، فعقد التوبة ليلة التوبة، وعزم إصلاح حاله مع ربه، وقال في نفسه: إن قلت لأصحابي إنني قد ثبتت قبل اجتماعهم عندي، ظنوا ذلك عجزاً عن مؤنتهم. فأحضر ما كان يحضر مثله قبل من مأكول ومشروب، وجعل الخمر في الزقاق. وحضر أصحابه، فلما أرادوا الشرب فتحوا زقاً، فذاقه أحدهم فوجده حلواً. ثم فتحوا ثانياً فوجده كذلك، ثم ثالثاً فوجده كذلك. فكلّموا الشيخ في ذلك، فخرج لهم عن حقيقة أمره، وصدقهم سن بكره... "رحلة ابن بطوطة، ص ٣٨٧".

فترجمه، وما أحسن ما ترجمه، بقوله: "شهاب الدين راز خود بر آنان فاش ساخت... "(٣٦). أي خرج لهم شهاب الدين عن سرّه.

-٧-

ومن المشكلات التي تعترض المترجم عن الفارسية مسألة رد المترجمات الفارسية عن العربية إلى أصولها الأولى. ففي المصادر الفارسية المختلفة مترجمات كثيرة من القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، وأقوال الصحابة والخلفاء المشهوره، والشعر والكلم المعروف. وأحسب أن الدقة والأمانة معاً توجبان على من يترجم أثراً فارسياً فيه أشياء مما ذكر أن يسعى إلى البحث عن نصوصها العربية الأولى، وإن يكن في استطاعته ترجمتها بلغته الخاصة، وهو ما قد يضطر إليه إذا ما أعيته الحيلة، وأضناه التقصي والاستقراء والتنقيب دون جدوى.

وأعترف صادقاً أنني بذلت جهداً كبيراً في استتطاق كتب الحديث من صحاح وغيرها، والبحث في معجماتها، وخاصة "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف" للاهتداء إلى نص ترجمة الحديث: "داد كندگان را اندر بهشت سراها باشد از روشنابی، با اهل خویش، با آن كسها كه زیر دست ایشان باشند" (٣٧) الذي استشهد

(٣٦) سفرنامه ابن بطوطة، ص ٣٩٥. ترجمة محمد علي موحد، طهران ١٣٣٧ شمسي (١٩٥٨).

(٣٧) سياست نامه، ص ٨٧. تحقيق الدكتور جعفر شعار، طهران ١٣٤٨ شمسي.

به نظام الملك مَرُويًا عن ابن عمر، رضي الله عنهما؛ فذهبت جهودي أدراج الرياح. وانصعت بأخرة إلى ترجمته بلغتي الخاصة: "للمقسطين وذوي قرباهم ومن هم تحت أيديهم قصور من نور في الجنة". وليست هذه المشكلة خاصة بالترجمة من الفارسية إلى العربية فقط، إنما تلقاها في كل لغة أجنبية استشهد بها صاحب الأثر بنصوص عربية وترجمها إلى لغته دون أن يثبتها. ولقد عانى منها نفر من المترجمين العرب، فتغلب عليها بعضهم، وأخفق آخرون أحياناً. يقول الدكتور إبراهيم أمين الشواربي، مترجم كتاب (A Literary History of Persia) للمستشرق الإنجليزي ادوارد براون (A. G. Browne).

"اعتمد براون في تأليف كتابه على كثير من المراجع الشرقية، واستشهد، بالطبيعة، بالتأليفات العربية والفارسية والتركية، ولكنه لم يستطع، في الغالب الأعم، أن يورد لنا شواهد في نصوصها الأصلية في هذه اللغات، واكتفى بإيراد ترجمتها إلى الإنجليزية. ولم يكن من المستساغ عقلاً أو المقبول فناً أن أعود فأترجم هذه المترجمات إلى العربية، لأن الترجمة عن ترجمة - لا شك - تُضلل المترجم، وتبعده عن الأصل. ومن أجل ذلك ألزمت نفسي بإثبات الشواهد العربية بنصّها الذي وردت به في الكتب العربية، اللهم إلا إذا كان الكتاب مخطوطاً، وليست له نسخة في دُور كتبنا"^(٣٨).

وكان المرحوم عادل زعيتر شيخ المترجمين العرب يواجهه بمثل هذا. يقول في مقدمة ترجمته لكتاب "ابن رشد" لارنست رينان الفرنسي: "وهنا ننبه القارئ إلى أن العلامة رينان اقتطف كثيراً من العبارات العربية الموجودة، فأعدنا معظمه إلى أصله العربي. وأما الذي لم نتوصل إلى نصه العربي بسبب فقدان الأصل غالباً، فقد ترجمناه من الفرنسية..."^(٣٩).

(٣٨) تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي - المقدمة، ص ص. مطبعة السعادة، القاهرة

١٩٥٤.

(٣٩) ابن رشد والرشدية، ص ٧. القاهرة ١٩٥٧.

وابتلي محمد عبدالغني حسن بكثير من هذا في ترجمته كتاب "المرأة والدولة في فجر الإسلام"، للباحثة العربية المتأمركة "نابية أبوت" (نابية عبود) الذي نشره عام ١٩٤٣^(٤٠). وهو يرى أن هذا الأمر ناحية واحدة من نواحي صعوبات الترجمة من غير العربية إلى العربية، ولكنها ليست صعوبة في الترجمة ذاتها، بل هي صعوبة فيما حول النص المترجم، ومحاولة إرجاعه إلى أصله^(٤١).

ومن مزالق ما حول النص التي تعترض المترجم عن الفارسية أيضاً كثرة التحريفات والتصحيحات والأخطاء في الأصول العربية في المؤلفات الفارسية، في الآيات والأحاديث، والأشعار والأقوال المأثورة، والأعلام والأماكن والكتب، لأسباب قد يعود أكثرها إلى تلاعب النساخ وجهلهم - أو جهل أكثرهم -، وإلى تواني المحققين وتقصيرهم، وعدم معرفتهم الجيدة بالعربية وتراثها.

وكتاب "سياست نامه" أكبر شاهد ودليل على ما أقول، لأن فيه تحريفات وتصحيحات وأوهاماً كثيرة، غام معظمها عن أعين المحققين والمصححين، والمترجمين غير العرب أيضاً، مع أنه طُبِعَ أكثر من خمس طبعات مختلفة في إيران وخارجها، كان آخرها طبعة الدكتور جعفر شعار التي تَرَجَمَتْها إلى لغة الضاد؛ فقد حُرِّفَتْ فيه لفظة "الحق" في قوله تعالى: "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق"^(٤٢) إلى "العدل"^(٤٣)، وصُحِّفَتْ "وتصدق" في الآية الكريمة: "وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين"^(٤٤) إلى "فتصدق"^(٤٥)،

(٤٠) فن الترجمة في الأدب العربي، ص ٨.

(٤١) المرجع السابق، ص ٩.

(٤٢) سورة ص، آية ٢٥.

(٤٣) سياست نامه، ص ٣٧٦.

(٤٤) سورة يوسف، آية ٨٨.

(٤٥) سياست نامه، ص ٩٠.

وأضحى اسم زعيم الديالمة "أسفار بن شيرويه ورداوندى"، فيما أثبتته المسعودي^(٤٦) وابن الأثير مثلاً^(٤٧)، أضحى "سيار شيروى ورداوندى"^(٤٨)، وحُرِّف اسم كتاب الإسماعيلية "البلاغات السبعة" الذي نص عليه ابن النديم^(٤٩) إلى "بلاغة السابع"^(٥٠). وغير هذا كثير في أشياء شتى لا حاجة لذكرها^(٥١).

أفيجوز للمترجم، والحال هذه، أن يسكت - إذا ما عرف - عن مثل هذه التصحيقات والتحريفات والأوهام أنى وجدت، فيزيد الطين بلة ويشارك المحققين فيما انزلقوا إليه ولم يكتشفوه؟! وهل كان عبثاً أن يحتدم الجدل بين المهتمين بالترجمة حول "تخصص" المترجم فيما يترجم، أو "معرفته" به؟ أحسب أن لا، لأن قدرة المترجم وسعة اطلاعه ومعرفته تبرز واضحة هنا؛ وهو ما يدل على أن الترجمة ليست نقلاً وحسب، فيما يتصور الكثيرون، بل هي، فيما يذهب صاحب "المقتطف" الدكتور يعقوب صروف، "صعبة وأصعب من التأليف".

* * *

(٤٦) مروج الذهب ٤: ٣٧٤ وما بعدها. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحמיד، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٤٨.

(٤٧) الكامل في التاريخ ٨: ١٧٥، ١٧٦، ١٨٩-١٩٧، ٢٢٨، ٢٢٧. طبعة صادر، بيروت ١٩٦٦.

(٤٨) سياست نامه، ص ٣٢٨.

(٤٩) الفهرست، ص ٢٤٠.

(٥٠) سياست نامه، ص ٣٥٢.

(٥١) راجع التفاصيل في: يوسف بكار، نظرات في سياست نامه، نشره دانشكده الهيات ومعارف

اسلامي مشهد، العدد (٢٤)، خريف ١٣٥٨ شمسي (١٩٧٨).

وبعد،

أفلا تستحق مقولة الإيطاليين "الترجمة خيانة" أو "المترجم خائن" (٥٢) مزيداً من التفكير والتقدير؟

أوليس يوجين نيدا محقاً في قوله (٥٣): "فإن مهمة المترجم مهمة صعبة في الأساس، ومهمة لا يشكر عليها في أغلب الأحيان. فإذا ما ارتكب غلطة اننُقد بشدة، ولكنه لا يُمتدح سوى امتداح تافه عندما ينجح في عملية...؟!".

د. يوسف بكار

(٥٢) Tarduttore Traditore نقلاً عن: الدكتور محمد عوض محمد: فن الترجمة، ص ٢٩. معهد

البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٩.

(٥٣) نحو علم للترجمة، ص ٣٠٢.